الحلبة تنتظر يا ...

قصة بقلم يوسف شرورو

« الى اخي فضل صاحب الكلمات المفعمة بالامل ، وبخضرة المروج في الارض التي تركناها هناك ترتعش من عتمة الايام . آمل ان تصافحها عيناه بحب ، ويؤمن باننا لسنا وحدنا من يحب ارضنا ويعمل لاستعادتها . »
يوسف

كان الموعد في الثامنة والنصف مساء يوم السبت . حي « فنشلي رود » يعرفه جيدا فقد امتصت شوارعه عمره الندي يوم القته طائرة ضخمة على ارض لندن . الحفلة صاخبة وماجنة . دعاه « رونالد » منذ ايام حين قابله في قاعة الكلية . وقال له وهو يبتسم ابتسامة غامضة قرب وجهه :

ـ يجب أن تحضر يا ابراهيم ، فهناك مفاجأة لك .

ما زال يسير وحيدا يحمل فوق كتفيه سبعة وعشرين عاما لا يدري كيف مرت عليه . احيانا كان يجلس في غرفته الضيقة العارية الكائنة في « ليمبولا رود » يسترجع الاماكن التي عاش فيها منذ اطل بعينيه مراقبا هذه الحياة . كانت الاماكن عديدة . والاسماء تتشابك في عقله ، واسم بلاده يسطع حزينا كئيبا طالبا عودة مضيئة بعد غيابه الطويل في اوروبا .. وما زال يذكر كلمات عفوية قالها له صديق مثقف قبل سفره :

ـ عش الحياة كمصارع اصيل . لا كمصارع عضلات ، بل مصارع كلمات .

وكانت دوما معه . يذكرها حين يبدأ احدهم ، وما اكثرهم ، مناقشة قضية بلاده المرتعشة دون ذراع قوي يحميها . وكان من عادته ان يذهب متأخرا الى الحفلات ، حتى يرى الوجوه بضربات نظرية سريعة ، وحتى يتأهب لدخول حلبة . ان كان هناك من حلبة . كان يبحث عن الفوز ويتعلم من الهزيمة دون ان تقعده كحيوان جريح يلهث . وقد علمته حياته الوحيدة في لندن ان يعتمد على نفسه ، فالمشاركات العاطفية والوجدانية تنفتت بسهولة عجيبة كرغيف خبز يلتهمه جائع . وكان الرقم الذي يبحث عنه هو (٤٩) . وكانت الشقة في الطابق الثالث ، والشوارع الجانبية هادئة يسكنها موتى يعيشون خلف غرف مغلقة ينيرها تلفزيون يسلب الزمن من عيون الناس بابتسامات مزيفة .

وجاءته انغام موسيقية راقصة تضج عبر الشارع الصامت . تابع سيره العادي ، الرقم الاسود (٤٩) قد الصق بعناية على باب البيت المفتوح ابدا . درجات البيت عارية لا سجاد يغطيها . الطابق الاول لا حياة فيه . درجات اخرى اوصلته الطابق الثاني الساكن الا من اضواء شاحبة في الغرفة الخلفية الكبيرة . تاهب ليقرع الجرس . الباب لا مغلق . الاصوات مختلطة ومرتفعة . وانشق الباب عن قامته العربية ودخل . وقد برقت عيناه كعيني قط اسود . الوجوه لا يعرفها . جديدة كاحذية براقة في واجهة مخزن احذية في بيروت المرحة . يرقصون ويضحكون ، ويشربون ، ويقبلون بعضهم بعضا .

سار نحو زاوية ليأخذ مكانا يطل فيه على الجميع ، وفجأة سمع صوت رونالد ، الذي يعرفه جيدا يقول :

ـ نحن بانتظارك هنا يا ابراهيم !

كان رونالد يعانق بيده اليمنى كأسا من الويسكي . ويقف وسط مجموعة خليطة من شابات وشبان . كانوا اربع فتيات وثلاثة شبان . لم يصافحهم . فهذه عادته . يصافح الجميع عند نهاية السهرة . وفي الوقت ذاته يمتحن عقولهم ومشاعرهم . ان كانت صديقة او عدوة . انه ما زال يعيش حياته كمصارع كلمات اصيل .

قال شاب يحمل وجها مستطيلا ، انبثق منه انف معوج :

ـ هل انت عربي ؟ لقد حدثنا رونالد عنك كثيرا .

لهجة السؤال لم تعجبه . كانت مغلفة بورق ناعم مصقول وسخ . وقدم له رونالد سيجارة . وتبرع اخر فاشعلها له . ونظر الى صاحب السؤال مرة ثانية . كان الانف انف انسان بشع في تفكيره ، وهو سيرد عليه بلهجة فاترة وهادئة :

ـ نعم انا عربي ، هل تعترض ؟

وخزته نجمة داود المعلقة على صدر فتاة ترتدي فستانا ازرق . واعطى الحكم اشارة البدء . كانت الحلبة غرفة واسعة احتلتها اقدام كثيرة . ابتلع الوجوه في عقله ، فقد كانت مستعدة لحديث طويل يبدأ بعلامات استفهام غريبة . وانصبت العيون على وجهه لتخيفه ، فضحك في داخله : وهل ترعبه العيون ؟ وانتقلت اجسام الواقفين الى جهة بعيدة في نهاية الغرفة ، وشاهد فتاة تتلوى على انغام موسيقية من بلاده ، تقلد رقصا عربيا . وابتسم ، دعهم يفرحون بالتقليد .

قالت فتاة وقفت امام المرآة اكثر من ساعة :

ـ هل ما زلتم تفكرون بالعودة الى اسرائيل ؟؟

وجاءت كلماته بسيطة لا انفعال فيها :

ـ لنفترض ان اسمك القديم كان مس « دفنسكي » ولم يعجبك الاسم لسبب ما ، فاطلقت اسما اخر . ان الناس سيذكرون اسمك الاول الذي التصق بجلدك منذ ولادتك . والعالم يعرف ان المنطقة هناك تسمى فلسطين ، ونحن لا نفكر بالا مودة فقط ، بل نعمل للعودة ، ولن اقف خطيبا فيكم لاقول اننا سنعود رغم كل شيء . ولكن سيأتي اليوم الذي نعمل له .

وسحب رونالد الانكليزي نفسا عاديا من سيجارته . وابتسم بصداقة . لقد تعرف على رونالد في سنته الجامعية الثانية . واعتادا على الذهاب مرات عديدة الى مقهى مجاور في « توتنهام كورت رود » للمناقشة والحديث . واصبح رونالد صديقا وفيا لبلاده . وعرف الان انه اعد هذه المفاجأة له ليتحدث مع قامات جاءت من بلاد كانت بلاده . وعليه ان يريهم بانها سترجع لتحمل اسمها العربي في يوم لا يعرفه ابراهيم نفسه .

وبحركة لاشعورية احتضنت الفتاة نجمتها المتشعبطة على صدرها كذبابة كسيحة . وانفعل الشاب الذي لم يصافحه ، واقترب خطوة من ابراهيم الذي كان ينفث دخان سيجارته في المكان . وضع ابراهيم عينيه الواسعتين في عيني صاحب الانف . ونظر وانتظر ، واخيرا قال الانف المنبثق :

ـ تعودون اليها ! ها ، ها ، تاريخيا هي بلادنا . اقمنا فيها منذ الاف السنين ، وعدنا اليها .

واشتم ابراهيم سخرية في الحديث . لم ينفعل ، ولم يثر ، فلن يستمعوا اليه ان كان في حالة هيجان . وربت رونالد بيده اليسرى على كتف الانف وقال :

ـ بهدوء ، بهدوء يا ديفيد ، فسيضحك منك الجميع !

وعاد ليرشف من كأس الويسكي ، دون ان ينظر الى احد . كانت

الحلبة فارغة يا ابراهيم في انتظار كلماتك . كن هادئا كعادتك . قال :

ـ انا اعتقد انك قرات التاريخ بسرعة دون ان تحلل الحوادث. فانتم عشتم في فلسطين كافراد تحت نظام دولة اخرى . ستقول عشنا تحت عرش دولة سليمان . ولهذا فانتم تملكون الحق في العيش فيها الان . وبهذا سنغير كتاب القانون الدولي ، وستجند كل دولة جيوشها لتسترجع بلادا عاشت فيها مجموعة من سكانها . ونحن سنذهب ونسترجع اسبانيا لاننا اقمنا فيها دولة دامت حوالي الف سنة .

ودخل الحلبة وجه اخر بعينين ساهمتين ليقول :

ـ ديفيد لا يعني هذا . هو يعني ان اسرائيل وطن اليهود منذ ان تاهوا في الصحراء .

ابعد رونالد الكأس عن شفتيه ، وقال :

ـ سوف يتجمع المسيحيون في فلسطين لاقامة دولة هناك لان المسيح ولد وعاش وصلب فيها ، وسوف نطلب من المسلمين في اندونيسيا والباكستان وحتى الصين ان يذهبوا ويقيموا دولة في السعودية . وستكون مهزلة . لكل دين دولة وارض . انا كما درست ، وكما اعرف لا اقر بهذا ولا يقره علماء القانون . والتفت اليه ليقول :

ـ ما رأيك يا ابراهيم ؟

ـ وسوف نسأل البوذيين ان يتجمعوا في الهند . وبهذا سنجد وستبقى معظم الدول بلا رعايا ، وستعم العالم فوضى خبيثة كلعنة الطاعون .

تهامس شابان وابتسمت فتاة لابراهيم ، وجرع رونالد من الويسكي. وعمت الغرفة موسيقى راقصة ، تعانق لسماعها مجموعة واخذت ترقص . كان ابراهيم يشعل سيجارة ثانية ويعب منها وصاحب الانف ينقل جسده من قدم الى اخرى ،ويحترق ليقول شيئا فيه فكرة. الابتسامة على وجه ابراهيم منعشة واثقة . هو يعلم انه جاء هنا ليتعلم كيف يناقش القضايا بموضوعية علمية . العاطفة هنا لا تفيد . تعلم كثيرا من اصحاب الاعصاب الباردة ، ولكن اوروبا لم تبدل حرارة ايمانه . وجد نفسه يسأل واحدا منهم :

ـ اين تعيش في فلسطين الان ؟

ـ اعيش في حيفا قريبا من جبل الكرمل .

الاسماء ما زالت عربية ، لم يغيروها . هم يعلمون انها سترجع لتحتضن عربها ولا ظلال للغربة، او للقحط في عيونها . هم يعلمون انها ستهزم الايام الجياع من حياتها . هم يعلمون ان الغد سيرف كعاصفة مجنحة تطرد الامس الدامي في عروقها . وفكر ابراهيم . هل غيروا شوارعها ؟ هل بدلوا فيها ؟ كان عند سؤاله عن بلاده يقول « انا عربي من العالم العربي » . وكان عندما يسأله شرطي غبي في عاصمة من عواصم بلاده عن اسم المدينة التي ولد فيها ، يقول « ولدت في فلسطين يا سيد» ويبتسم شرطي الامن العام ويسلقه بالف سؤال وسؤال ، ويسمعه من الكلمات الجريحة التي تقبع في قلبه وعقله . ويفتح فمه ليربط الحروف المعتادة « انتم تخربون في كل مكان . انتم اداة للفساد .يجب ان تجمعوا في مكان لا تغادروه ابدا .»

ويبتسم ابراهيم للشرطي المسكين الذي لا يعلم . فالناس في الشوارع المزدحمة عرب يحبون الارض التي ولد عليها . البيوت تدور فيها احاديث عاطفية عن استرجاعها ، الكل يتحدث عن هذا . لا ، لن يكره الشرطي فهو يختفي خلف سترته الرسمية . لا ، لن تبكيه كلمات الشرطة فهي عادية معادة فقدت معناها وبريقها . وهنا في اوروبا يعلمون ان العرب ، كل العرب ، يعملون لوعد الغد في فلسطين .

جاء صوت رونالد قائلا له :

ـ بم تفكر يا ابراهيم ؟

ـ افكر في وطني الذي بعثر ايامي بعد تبعثره .

وغاب رونالد في مكان ما في الغرفة . ووقف ابراهيم يحدق في فتاة اسرائيلية ترقص على انغام موسيقية . وقد التف الجميع يشجعونها ويصفقون لها ، وهي تتلوى كأنها تعاني الاما في معدتها . وكان شاب سكير يقلد خطواتها . لن يقبض ابراهيم الا غيمة . لن يمتع نفسه . والسنابل في بلاده لا ترويها الايادي شعبه . كان يظن ان الغربة اخمدت احاسيسه كانسان . ودارت كسيارة تدهورت في واد عميق . وفقدت الشعور بانها تعيش . الليلة في هذه الغرفة ، شعر بانه وحيد ، يحمل في داخله وجوه الناس الفرحة والحزينة التي تسعى في بلاده البعيدة. ولكن من المحزن ان تجد النفس بانها وحيدة ولو كانت تعيش بين ملايين من الناس . ما زال يحن كل يوم ليرتمي تحت ظلال شجرة تنبت في ارضه . ما زال يهفو قلبه وراء كل اسم مدينة من عواصم بلاده . العطر المنتشر هنا ، ولا الضوء الباهت ، ولا النغم الموسيقي ينسيه يوما بانه وراء قضية لا ككل القضايا .

وتقدمت منه فتاة شقراء رائعة تشتهي في ايام الخصب وقالت :

ـ هل تحب ان ترقص معي ؟

وتذكر الاصدقاء الذين يعملون خلف مكاتبهم في دور الصحف ، والام الكئيبة المنتظرة ابدا ، والاخوة الذين يعرقون ويعرقون ليرسلوا له نقودا شهرية يقتطعونها من رواتبهم الضئيلة ، واخيرا قال للفتاة :

ـ اتمنى لو اطرد الكآبة التي تلازمني لارقص معك .

حزنت لاجله الفتاة . لقد جاءت هنا لتسعد ايامها الوحيدة . لن تجلس بجانبه لتواسيه . ان الايام تهرب سريعا دون انتظار . ستجرب حظها مع غيره . وانتقلت لتنضم الى مجموعة اخرى . رونالد ما زال بعيدا عنه . وما زال هو بعيدا عن الجميع . ولكن لماذا ينزوي بعيدا عنهم ؟ سيلقي بنفسه وسط المجموعة . يا حسرة . التعب يغلفه بقسوة. يريد ان يتخلص منه وينطلق ، ضاحكا فرحا ، كعمره الذي يسير فيه .

واقترب من فتاة تجلس وحيدة وتدخن بهدوء غريب . قال لها باسما :

ـ لم انت وحيدة ، لنرقص ، فالرقص غذاء وذكرى لايامنا القادمة.

وضحكت الفتاة . تذكر انه رآها في مكان ما . حاول ان يذكر المكان . لم يوفق . تابعت الفتاة مسرحانها البعيد ، وتدخينها المتواصل. وحدق في وجهها فقالت له :

تطلب « الآداب »

ومنشورات دار الاداب

في السودان

من

مكتبة الجمهورية

لصاحبها السيد عبد الرحمن يوسف محمد نور

تلفون ٥٠٢٢٨ ص.ب ٥٨٣

ام درمان

ويرجى من المتعهدين واصحاب المكتبات الاتصال به للاتفاق على كل ما يتعلق بالتوزيع

ـ هل تقابلنا من قبل ؟ انا اذكر انني رأيت وجهك .
كانت الفتاة تعرف وجهه منقبل . وهو يعرفها من قبل . يذكر انه

حدثها طويلا عن قضيته وعنعالمه العربي الواسع ، وعن الحب العميق الذي يربط الناس هناك . آه . وقفز فرحا :
ـ تقابلنا في مطعمالجامعة . وجبة الغداء : هل هذا صحيح؟

كانت انكليزية من برمنغهام تدرس الادب الانكليزي . صغيرة . كاثوليكية . تهوى القصص الدينية . وتحن لمدينتها الفقيرة ولابيها العامل البسيط في محطة القطار هناك . احبت عربيا عاش في بيتهم ودرس في جامعة برمنغهام يوما ما . وعندما غادر المدينة غادرتها هي الى لندن لتتابع دراستها . وستعمل عندما تحصل على الشهادة في مهنة التدريس. تذكر اسمها الان « غينر » . نهض ليراقصها . هو لا يدري انها عندما تراه ترى وجه العربي الذي غاب راجعا الى بلاده . حدثته طويلا عنه . وحدثته عن فرحتها بصداقته . فهي تشعر بالامان والراحة مع العرب . افرحته كلماتها البسيطة . وانطلق ليرقص كما لم يرقص من قبل.ونبع عرقه ، وضحكت الفتاة وتوارى حزنها بعيدا عن الوجه الجميل الذي تحمله . انتهت الرقصة . فاخذها الى مقعدها . وذهب ليحضر قدحا من البيرة لنفسه . وعند عودته وجد وجه الانف يحادثها ويقف بجانبها. هل ارادوا ان يحاصروه ؟

ناولها قدح البيرة ووقف بجانبها . وبدأت رقصة جديدة . سألها وجه الانف ان ترقص معه . فرفضتبادبواخبرتهانها معصديقها ابراهيم.
وابتسم بصعوبة لها ، ورجع مهزوما الى جماعته .
قالت غينر لابراهيم :
ـ سألني عنك . وان كنت صديقتك . فقلت له « نعم » وعندها قال « هو عربي »كوني حذرة ! فاخبرته انني احب العرب ، وقد دعاني الى حفلة راقصة مساء الغد وقال « تعالي مع صديقك العربي » .
جاء رونالد وانضم اليهما معانقا كأس الويسكي كعادته ، وبعد لحظات لحقت به المجموعة القادمة من بلاد كانت عربية يوما ما . انتصبت قامة ابراهيم فالحكم اعطى اشارة الشوط الثاني . كنا على يقين تام بان غينر ستكون بجانبه هذه المرة . وكان وجه الانف يمضغ كلاما طويلا داخل فمه . والفتاة ما زالت تسند نجمتها خوفا من سقوطها فجأة . الوجوه لم تتغير . كانت قسماتها مشدودة لا راحة فيها . بل غليان وانفعال وكبت لثورة حمق ما زالت خرساء تريد ان تنطق . ضجت موسيقى رقصة الدبكة التي يجيدها . هذه خطة فيها توقيت زمني . قال واحد منهم وهو يبتسم لابراهيم :

ـ هيا لنرقص هذهالرقصة معا فهي من بلادنا !
وبسرعة تشابكت اياديهم . وانتفضت غينر لتقول لهم :
ـ انتم اعتدتم على السرقة . سرقتم الارض وحاولتم ان تلصقوا اسمكم عليها . والان تحاولوا ان تسرقوا هذه الرقصة وتقولوا انها من بلادكم .

دهشوا وتوقفوا . وتفتتت الاصابع المتشابكة . وانتصبت حبات عيونهم مبهورة من كلمات الفتاة . وابتسم رونالد لها . ونظر اليها ابراهيم نظرات شكر عميقة . وتقدمت فتاة من مجموعتهم نحو غينروالكره يتواثب على لسانها وقالت :
ـ نحن لم نسرق الارض . اخذناها بالقوة ولن يستطع احد ان ياخذها منا .

واشار ابراهيم لغينر ان تصمت وتترك له الحلبة لفترة منالزمن. قال للفتاة ، بهدوء :
ـ انت تذكرين الحروب الصليبية . لقد جاءت الجيوش الاوروبية واخذتها منا . وعاشوا هناك سنين طويلة . وفي النهاية عادت لنا وعدنا اليها .
انفجر صوت غاضب ليقول بكراهية دفينة :

ـ في هذه المرة لن تعود اليكم !!
ـ هكذا تقولانت . ونحن نقول العكس . لنا موعد عبر الايام ينتظر . وبصراحة ، انا مللتالصراخ حول هذه الحكايات . فان اردتم النقاش الهادىء فاجلسوا . وان اردتم الصياح فنصيحتي لكم ان تذهبوا الى حديقة الهايد بارك القريبة من هنا .

وعاد الى سيجارته ليحرقها ، ولا يدري لم تخيلهم في ملابس القتال ينتظرون تصويب رصاصهم الى صدره ؟ ولا يدري كيف جاءته صورة اخيه وهو في زنزانة عربية . يحاكم بقسوة ، ويهان كحيوان . وتوجه اليه التهم البشعة ، لانه اراد تنظيم بعض الشباب وتدريبهم على استعمال السلاح ، انتظارا للموعد الذي يخطو عبر الايام الان .وغفر للذين سجنوه لانهم اخوة من بلاد تضم عالمهم العربي . هو يذكر انه استلم منه رسالة بعد خروجهمنالسجن للمرة الثانية يقول فيها « اخي، اشعر باني نضجت واصبحت رجلا . كانت المعاملة في البداية سيئة . وعندما عرفوا السبب ابتسمت عيونهم بحب صادق لنا . وصافحونا بحرارة . اخي ، بعدها شعرت باننا لسنا وحدنا من يحب ارضنا . اخي، الكل يعمل معنا . » كم عانقت روحه الاخ المنكب على كتبه ذات اللغة العربية . كم ودلوصافحت يده قلوب من صافحوا يد اخيه . كم تاقت نفسه لرؤية وجه امه وهي تتلقى اخبار سجن ولدها ليلة العيد الكبير. وفكر ، عبر العذاب الطويل الطويل في جبهات الكفاح الكثيرة ، تطيل القضية تلك الكلمة الجريحة على جبين الارض ، في يوم ما سيتوقف نزيف الكلمة ويلتحم الجرح . ولكن متى ؟ هو نفسه لا يدري !! ولكنه على يقين بان اجنحة الشمس ستلفح الوجوه العربية من جديد على ترابها الذي كان خصبا يوم غادرها .

سمع صوت غينر يقول له :
ـ ابراهيم لنرقص معا . انا اعرف انك تتعذب بصمت .
وطوق خصرها وراح يرقص على انغام منسابة كجدول احلام. هو لا يدري من قال له : « ابراهيم لا تنكس الراية وتستسلم . دع الراية ابدا ترفرف على جبينك . » انه لم يبتعد عن الراية ، بل العذاب صامت كما قالت غينر .ولا يستطيع التعبير عنه . انه منتصب على جثثنا حتى تعود الارض . ان الكلمات لتعجز احيانا ان تكون رسول انسان يتعذب. فعليه ان يعمل ويعمل حتى تشده الجذور الذي سحقها في يوم حفر تاريخه في عقله .

كانت عينان تحدقان في وجهه بحب ، وفتاة كاثوليكية تعشق بلاده تلتصق به ، ورونالد يدور كنحلة طليقة حول الوجوه ، يضحك ويربت على الاكتاف والخدود ، والمجموعة الاسرائيلية متكومة في زاوية كبقايا مستعملة القيت باهمال ، الهمس يدور بينهم ، ورونالد يهمس فياذنه من جديد :
ـ لقد ضيعت عليهم سهرتهم يا ابراهيم .

« كم من الليالي عبر سنين الغربة ضاعت احلام نومنا . كممن السنين تبعثرت عبر الزمن الضائع . ونحن ما زلنا نمتص المذلة كل لحظة . انها لاهانة حزينة ان يكون الانسان بلا وطن يا رونالد » .

دارت هذه الكلمات في عقله . لم يقلها لصديقه الانكليزي ، فهو عربي والعالم العربي كله وطن له . هو ينتمي الى وجود الناس هناك . هو واحد من ملايين عديدة. لا يعرف كيف انتهت الرقصة . كان فيعالم بعيد طالما هرب اليه . وتلاشت صورة الغرفة من عينيه للحظات . نسي غينر ورونالد وكل الوجوه . وانتفض من جديد . وتذكر كلمات صديقه الذي قالها له قبل سفره : « عش الحياة كمصارع اصيل . لا كمصارع عضلات ، بل مصارعكلمات. » وعاد الى الغرفة من جديد ، فطلب من رونالد ان يضع اسطوانة رقصة الدبكة . وحمل منديلا بخطوط حمراء في يده . وبدأ يرقص وحيدا رقصته العربية . وقف جميع من في الغرفة ليشاهدوه . وانفعل . وحلق كنسر كبير فارشا اجنحته السحرية

الكبيرة على وجوه الجميع . وتخيل نفسه في بلاده . يرقص ويده تتشابك مع ايد حبيبة ، ورفت نفسه فرحا بلقاء عيون الاصدقاء والاخوة، الندية ، وانطلق يغني اغنية لوديع الصافي الرجل . وقبلته عيون زرقاء وخضراء وسوداء . وقبل العيون البعيدة ، ففي ضحكها وحزنها عبير بلاده . وتمنى لو تدوم الرقصة حتى نهاية الليل .

صفق له الجميع ، وتحمس رونالد رافعا كأسه الى الاعلى ، وقال وهو يبتسم له :

ـ انا اشرب نخب بلادك .

لم ير الافواه التي شربت النخب ، بل ربت بيده على كتف رونالد شاكرا . والقت غينر بنفسها بين ذراعيه وقبلته قبلة طويلة . احتار لم لم يذق حلاوة شفتيها ، الانه وراء قضية ؟ لقد اضحكته هذه الفكرة، وتخيل نفسه في حلبة تقبله فتاة لفوزه . ولكن هل للفوز الصغير من قيمة؟ واقتربت منه قامات لم يعرفها من قبل ، وانطلقت الكلمات من الافواه المحيطة « عظيم ، رائع ،جميل ، اين تعلمت هذا . هل ترقصون بمثل هذه الروعة في بلادكم؟ »

وفكر في ان يقول لهم « اه لو ترى عيونكم رقصات الفلاحين في بلادي . اه لو انتقلت الرقصات الى فلسطين » . وفجأة انطلق صوت حاقد ليقول :

ـ نحن من فكر بان نرقصها هنا . ولكن كلمات فتاة منكم اوقفتنا عن متابعة الرقص .

فاجاب ابراهيم :

ـ حياتكم اندفاعة جياشة توقفها نهاية . حياتنا تفكير ترفده استمرارية عمل . نحن لا نبدأ شيئا ان كنا لا نؤمن بنهايته المرسومة . انتم تبدأون ، فتتخبطون ، واخيرا تبكون قرب حائط وتجعلونه فيما بعد مقدسا .

عاد ليدخن سيجارته ، ويراقب الوجوه الحاقدة . واخترق رونالد الغرفة متجها نحو زاوية « البيك اب » ليضع اسطوانة الدبكة .وتدفقت موسيقى مخضلة بالوعود الخيرة ، رف لها قلب ابراهيم . تقدم رونالد منهم وقال :

ـ هذه هي الموسيقى . الغرفة لكم . والرقص في الانتظار ان اردتم.

وحملقت الحيرة في عيونهم . وكان القلق يغلف حركاتهم . ماذا يفعلون ؟

وتدحرج وجه الانف ليقول :

ـ سنرقص الليلة القادمة . ستكون لنا حفلة انتهم مدعوون اليها. وسنغادر الان . شكرا يا رونالد . الى اللقاء يا ابراهيم .

ـ وهل سيكون بيننا لقاء الا هناك . سنتقابل في خندق صغير او كبير . وسنرقص نحن اصحاب الارض ، الدبكة ، فوق التربة العطشى لرؤيتنا .

كانت الفتاة ما تزال تتشبث بنجمتها المتشعبطة على صدرها كذبابة كسيحة ، تخاف عليها من السقوط ، وعندما انسلت اجسامهم عبر الباب الخارجي كان وجه الانف يتقدمهم كقائد عصابة .

وابتسم ابراهيم ابتسامة فرحة وفكر « هل للفوز الصغير من قيمة ومن معنى ؟ » وكوقع الندى غمرته كلمات اخيه الخضراء « اخي ، بعدها شعرت باننا لسنا وحدنا من يحب ارضنا . اخي ، الكل يعمل معنا . »

وسار بخطوات واثقة لينضم الى الوجوه الصديقة في الغرفة . ولن ينسيه العطر المنتشر هنا ، ولا الضوء الباهت ، ولا النغم الموسيقي، انه وراء قضية لا ككل القضايا.

لندن — يوسف شرورو

سلسلة الجوائز العالمية

صدر منها :

١ ـ المثقفون

رائعة الكاتبة الوجودية الكبيرة

سيمون دو بوفوار

الحائزة على جائزة غونكور الفرنسية

ترجمة جورج طرابيشي

في جزءين ـ ثمن الجزء ٧ ليرات لبنانية

٢ ـ السام

اخر رواية للكاتب الايطالي الشهير

البرتو مورافيا

وهي الحائزة على جائزة فياريجيو الكبرى

الثمن خمس ليرات لبنانية او ما يعادلها

٣ ـ ابك يا بلدي الحبيب

تصوير رائع للماساة العرقية في افريقيا الجنوبية

تاليف الان بيتون

ترجمة خليل الخوري

الثمن ٤٥٠ قرشا لبنانيا

منشورات دار الاداب ـ بيروت